بسم الله الرحمان الرحيم

الفقيه محمد العبدي الكانوني و كتابـــه

تاريخ الطب العربي في عصور دول المغرب الأقصى

بقلم الاستاذ محمد السعيدي الرجراجي

يعد الفقيه أبو عبد الله محمد العبدي الكانوني من الذين وهبـوا البحـث والصبر عليه والبذل للجهد و المال في سبيل الوصول إلى مظانه و مكامنه. ولقد حقق من ذلك الكثير إن في شقه الديني الصرف، وإن في شقه التاريخي القديم و الحديث، وإن في شقه اليومي المبني على التدافع و المجاهدة.

و الكتاب الذي نقدمه اليوم و نعرف به يستمد مصداقيته و قيمتـه مـن تلك المشكاة. وكثيرا ما تحدث عنه دون أن يتجاوز ذلك سطرا إلى فقرة ونأمل أن نوفق في إعطاء نظرة متكاملة عنه للباحثين و الدارسين و المهتمين.

كتاب الطب العربي:

إن الفقيه ليس أول من كتب في الطب ولا أول من جعله ضمن اهتماماتـه المتعددة، فالخزانة العربية الإسـلامية تحـوي المئـات إن لم نقـل الآلاف مـن المؤلفـات الطبيـة الـتي ظهـر بعضـها و مـا يـزال الكـثير منهـا دفـين رفـوف الخزانات و المكتبات شرقا و غربا و ما يزال الكثيرون يعتمـدونها وإن أخفـوا اعتمادهم ذاك.

و لكن الذي يشد الانتباه هو :

أ- أن الفقيه ولد بالبادية و ترعرع ودرس بها بتخفيف الراء وتشديدها، وإن يكن ذهب لفاس و مراكش و استقر بآسفي، و كان العلماء حتى في العواصم الكبرى لا يأبهون حتى بالأدب و الحساب البسيط فما بالك بالطب و رجاله.

ب- إن المرحلة التي عاش فيها مرحلة ضيق و اضطهاد وخنق واستعمار، و مرحلة مرض و جهل و تعلق بالأضرحة و المشعوذين وإن تكن الحركة الوطنية تحارب بقدر طاقتها و الهواء الجديد يهب رخوا و في تباطؤ.

ت- إن الحالة المادية و المعيشية بعامة للفقيه لم تكن بسامحة للبحث والتأليف في موضوع يعد البحث فيه ساعتها ترفا فكريا وذا خطورة قصوى، و بعيد المدى لا يدرك شأوه إلا من تهيأت له أدواته و عدته.

ث- إن كثيرا من نظرائه إذ ذاك و المهتمين بمجال البحث و التقصي كانت هممهم مصروفة إلى تسجيل حيوات الأدباء و الشعراء و المتصوفين ودفيني القبب و الزوايا و ذكر مفاخرهم و الاقتباس من بركاتهم و نظم القصائد في فضائلهم وإن لم تخل بعض كتاباته من ذلك.

هذه و أخريات تفضي بنا إلى القول بان الرجل كان يعلو على ظروفه و لم تكن تعلو عليه، و سار على سنن علمائنا الكبار الذين حفلت بهم المجالس، وامتلأت بهم المدارس، و ملؤوا الأوراق و الطروس و أسعدوا القلوب و النفوس، بما تركوا من ذخائر، وأحرزوا من مفاخر قدرتها الإنسانية و ماتزال.

تقديـــــم الكتـــــاب

كتاب (تاريخ الطب العربي في عصور المغرب) أصابه ما أصاب كل كتب الكانوني حيث توزعت شذر مذر، و سطا عليها من سطا، و عتا فيها من لا يتقى الله في جهود الآخرين، و سرقها من كان يتحين الفرصة لها، و كان أكثر المعتمدين الذين لم يراعوا فيها إلا و لا ذمة أصدقاؤه والمقربون منه، ومن المتعاملين مع مكتبته بالبيضاء كما أفادني ولده الفقيه الحاج محمد جمالي الكانوني في رسالة بتاريخ 11 رجب 1418–13 نونبر 1997، مما جاء فيها:

"وأشير هنا على أن الفقيه الكانوني رحمه الله ، كانت له مكتبة عامرة بالكتب أكثرها مخطوط في منزله، و كان يحاول إخراج مخطوطاته من مسوداتها، فهي بدورها نهبوها، سرقوها: المعارف و الفقهاء والأصدقاء وغيرهم، و لم يبق في مكتبته المنزلية إلا الرفوف".

وإذن فالدرك في ضياع كتب الفقيه يرجع للأذنين قبل الأبعدين.

فلا تحسبن هندا لها الغدر وحدها ***** سجية نفس كل غانية هند

ومع ذلك فقد وقى الله بعضها، منها هذا الذي نتحدث عنه حيث توجد منه ثلاث نسخ فيما سمعنا، منها واحدة بيد الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله و يعتمدها في بعض بحوثه كما قالوا و منها هاته التي نقدمها الآن.

ولقد سبق لنا أن أشرنا إليه في التقديم ضمن كتب أخرى في تأليفنا عنه[1] ونذكر بعض ما جاء فيه:

أ- هذا الكتاب جزءان كما نشره مؤلفه في الثبت بجواهر الكمال الجزء الأول، وهو كذلك حسب النسخة التي عندنا، لكن هناك مآخذ:

1- أن الجزء الأول و كما هو مرقم بخط المؤلف يتكون من مائة و ثلاثة وعشرين صفحة عيار 32 x 8، و لا شك أن صفحات أخرى ضاعت منه إذ لا يوجد شيء يشير إلى أنه أنهاه.

2- أن الجزء الثاني مبثور من الاول، فلا عنوان و لا مقدمة و لا ما يشي بأنه الجزء الثاني.

3- هذا الجزء ليس كاملا و لا يوجد بآخره ما يدل عليه و صفحاته لا تتجاوز سبعة و ثمانين.

4- إذ التجئ إلى عملية ضم الجزأين يصبح الكتاب جزءا كاملا نوعا ما بصفحات تناهز المأتين.

ب- هذا الكتاب ألفه الفقيه بمراكش أيام منفاه بها في شعبان 1356هـ وهو من أواخر كتبه إن لم يكن آخرها، إذ لم يعش بعده سوى سنة و أيام رحمه الله، و قد بين هو نفسه أن التأليف استغرق خمسة عشر شهرا لا غير: " لأنه إذا كان هذا نتيجة بحث باحث واحد، فكيف لو مد له في الأجل" و قد أودعه كما قال نحو مائة و ستين طبيبا، أما ما عندنا فلا يتجاوز مائة وواحدا و أربعين.[2]

ت- حالة الكتاب جيدة و سلامته متوفرة، و صفحاته صلبة لولا البتر الذي تحدثنا عنه و المقدر بتسعة عشر ترجمة و خطه مقروء جميل.

دواعي التأليف

كان العقد الخامس الهجري الثالث الميلادي من القرن الماضي عقدا جلب للمغرب عديدا من المشاكل الإقتصادية و الاجتماعية والثقافية والسياسية نظرا للرؤيا الاستعمارية المهيمنة، و لكنه حمل إليه نوعا من التفاعل و التحرك و الشعور بالذاتية تجلى فيما عرف باليقظة الجديدة أو الحركة الوطنية التي لم تهمل الناحية الثقافية و لا التاريخية في عملها النهضوي فأسست عدة منابر لذلك.

و من المنابر الثقافية الجادة وقتذاك (مجلة المغرب)، و كانت مجلة محترمة بما يكتب فيها و بمن يكتبه في حدود المسموح به طبعا.[3]

وفي سنة 1355 هـ، أعلنت أنها ستصدر عددا خاصا عن مراكش وطلبت المشاركة ممن كانوا قادرين عليها، و هذا ما بينه الفقيه الكانوني تحت عنوان : كلمة للمؤلف: "في السنة الفارطة عزمت مجلة المغرب على إصدار عدد خاص بشؤون عاصمة مراكش ذات الماضي المجيد فتحركت أقلام الكتاب والباحثين للكتابة عن مراكش الحمراء، فطلب مني بعض الأصدقاء من مساعدي المجلة أن أساهم في الموضوع و اكتب في ناحية من نواحي حياة عاصمتنا هذه.

ونظرا لتشجيع الحركة الفكرية نزلت على رأيه و استعملت فكري في موضوع الكتابة، فبينما أنا غارق في بحران التفكير منتقلا بين الموضوعات إذ وقع على بالي أن بمكتبتي كتابين في الطب العربي كتبا في القرن العاشر

الهجري باسم السلطان أحمد المنصور الذهبي فانقشعت سحابة الحيرة عن فكري باتجاهها نحو أثار الطب العربي بهذه العاصمة، فحررت مقالا على حال استعجال و ضيق لقرب صدور المجلة، فنشر على صفحات العدد الصادر عن ربيع و جمادى الثانية سنة 1355 هـ.

لكن نظرا لضيق الوقت عن التوسع و البحث و التنقيب، ما كادت المجلة تصدر حتى اطلعت عند بعض أصدقائنا على مادة وافرة في هذا الموضوع ظهر لي من أجلها أن ما ذكرته بالنسبة لما فاتني قدر ضئيل، فصممت العزم على تلافي ذلك النقص بصفة أوسع وأجمع، و فعلا واصلت البحث عن تاريخ الطب العربي في عصور دول المغرب الأقصى، ذاكرا ما لملوك المغرب من عناية بالحالة الصحية و تشييد المستشفيات بجميع ممتلكاتهم مشفعا ذلك بتراجم الأطباء و الحكماء الذين كانوا تحت رعايتهم أو نبغوا في حكوماتهم متفيئين ظلالها متمتعين بحسن رعايتها كاشفا أعمالها وللأطباء من آثار و مؤلفات في الطب العربي." [4]

منهجية البحث :

أما منهجية البحث التي اتبعها فهي نابعة من إدراكه و سلامة تفكيره و قواعد بحثه بل ونظرته للتطور و ما تمور به الحياة الإنسانية من أطوار ولذلك يقول: "...نظرا لذلك كله رتبت الكتاب على ما تقتضيه حكمة الله تعالى في طبيعة هذا الكون ووضعته على أربعة أدوار:

1- دور التكوين و التربية من أواخر القرن الثاني إلى أوائل عصر الدولة الإدريسية و من كان في أعقابها.

2- دور الازدهار في القرون الثلاثة : الرابع و الخامس و السادس حيث صار المغرب أولا تابعا للأندلس أواخر الدولة الأموية ثم صار الأندلس تابعا للمغرب في عصر الدولتين المرابطية والموحدية،

3- دور الوقوف في القرن السابع و الثامن عصر الدولة المرينية

4- عصر التقهقر و الانحطاط في القرن التاسع فما بعده.

و افتتحته بمقدمتين..."[5]

هكذا سار في منهجيته، و هي منهجية واضحة في مبناها و معناها ودليل على قوة إدراكه و ممارسته بطرق التأليف و صناعة التحبير، و نرى أن ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى نشاطه المستمر و إلى انخراطه في المجال العلمي و السياسي و الديني اليومي حتى إنه كان رئيسا لإحدى الجمعيات الثقافية البعيدة عن حضانة الحماية و تفريخها.

المقدمتـــان

المقدمة الأولى : (في نشوء الطب العربي و بلوغه الغاية القصوى)

لقد صال الفقيه في هذه المقدمة و جال في عشر صفحات كاملة مبينا قوة تحصيله ووفرة معلوماته و صبره على البحث و التنقيب و مساءلة المصادر ومناقشة ما تحويه الخزانات في هذا المضمار، و ما حفلت به مداركهم واخترعته عبقرياتهم و أعطته تجاربهم و تطبيقاتهم في مختلف العلوم حتى

غدت الأمة الإسلامية صانعة الحضارة و المسؤولة على قيمها و توجهاتها وتقدمها و اضمحلالها حتى إننا نجد رجلا لا يمكن أن يتهم بانحيازه للعرب و المسلمين يكتب : "إننا لنجد أن الأسلوب العلمي لم يكن مطبقا في بلدان العالم الثالث مثل مصر و الصين و الهند و نجد القليل منه في اليونان و لا نجده في روما، و لكن العرب امتازوا بهذه الروح العملية الاستطلاعية مما جعلهم يدعون بجدارة ءاباء العلم الحديث (...) و بنى العرب على هذا الأساس العلمي الذي استقوه من غيرهم أبحاثا عظيمة، و توصلوا إلى اكتشافات عظيمة لقد صنعوا اول مكبر ، و صنعوا أول بوصلة، و كان أطباؤهم وجراحوهم ذوي شهرة عالمية طبقت آفاق أوربا".[6]

لقد جال جولة موفقة منذ بزوغ الإسلام إلى أن انحدرت الأمة بفعل أفاعيل و تتبع خطواتها مطيلا آنا و ومختصرا آنا، و لكنه في كل منها الباحث الثبت و الفقيه الألمعي. ولم يقتصر في بحثه و نقولاته و شروحاته ومقارناته على ما دونه العرب والمسلمون، وإنما تعداهم إلى ما شهد به الغربيون والمنصفون الذين يخدمون العلم من أجل العلم و يجأرون بالحقيقة وإن كانت مرة في نظر البعض.

إن هذه المقدمة تكفي من أراد تكوين نظرة عامة عن الطب و الطبابة في الأمة الإسلامية و عن الجهود المبذولة في هذا السبيل، ولذلك فهي مدخل هام و جيد قدمه الكانوني لمن يريد الاستفادة من كتابه القيم.

لقد كتب في معرض تأكيده على ما يقوله الغربيون : "..و قال الدكتور غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب ص: 114 ليس كما يقال بواسطة الصليبيين، بل بواسطة الأندلس و صقيلية و إيطالية دخل العلم إلى أوربا، فأسس في سنة 1130م في طليطلة تحت إدارة رئيس الأساقفة ريموند مكتب ترجمة نقل إلى اللاتينية أشهر مؤلفات العرب.و كان نجاح هذه التراجم عظيما دخل فيها الغرب في عالم جديد، و ظل السعي متواصلا في القرن الثاني عشر و الثالث عشر و الرابع عشر(6-7-8 للهجرة) (...) فإلى العرب خاصة لا إلى رهبان القرون الوسطى يعود الفضل لمعرفة التاريخ القديم، والعالم بأجمعه مدين لهم بعرفان الجميل لإنقاذهم هذا الكنز الثمين (...) إن مستشفيات العرب من الوجهة الصحية أفضل من مستشفيات الأوربيين اليوم بسعتها و جمال موقعها ونظافتها و كثرة مياهها و انطلاق الهواء في أطرافها"[7].

و طبيعي ليس الأمر مقصورا على الرجال وإنما كان للنساء دورهن البارز في بلورة الحياة الإسلامية.

المقدمة الثانية

الكتب الدراسية الطبية بالمغرب أو الرائجة فيه بوجه عام.

هذه المقدمة أقصر من الأولى و أخصر و لكنها مفيدة جدا من حيث كونها تلقي أضواء مهمة على الكتب التي كانت تدرس و كيفية التعامل معها وأين كانت تلقي الدروس الطبية كما تدل على ما أضافته العبقرية المغربية في هذا المجال، وعلى ما حرره الأطباء المغاربة والأندلسيون وأثروا بهذه الصناعة

الإنسانية حتى أن القانون و الأرجوزة لابن سينا شرحا أكثر من مرة و علق عليها في دراسات متأنية و جادة ، إضافة إلى هذا فكتب المغاربة كانت هي المعتمدة في التدريس من أبي العلاء زهر بن أبي مروان عبد المالك الأشبيلي إلى أبي العباس أحمد ابن محمد بن حمدون بن الحاج السلمي الفاسي صاحب كتاب " الدرر الطبية ، المهداة للحضرة الحسنية".[8]

و من أجمل ما في هذه المقدمة مناقشته للطبيب "رونو" الذي ألقى محاضرة بقاعة المعهد العلمي بالرباط و نشرت في العدد الأول من مجلة المعهد ذاكرا بان تدريس الطب بكيفية رسمية و باقية العلوم الرياضية انقرض بكلية القرويين بالمغرب قبل آخر القرن التاسع عشر (الثالث عشر الهجري) بكثير.

يقول الفقيه : "و نحن نخالف هذا القول تمام المخالفة و نعتبره مخالفا للواقع مطالبين قائله بالدليل على ذلك قائلين: أي ملك من ملوك المغرب رسم ذلك؟

و الواقع أن العلوم الطبية و الرياضية لم ينقطع تدريسها بمعاهد المغرب و مدارسه في بواديه و حواضره بل لم يزل في المغرب نبغاء في العلوم الرياضية يدرسونها حتى هذا القرن الحاضر، و كان الملوك يشجعون هذه الحركة ويرفعون من شأن أهلها، وحتى إذا كان أحدهم لم يأخذ بيد أهلها فإنه لن يتعرض لقطعها تماما بكيفية رسمية كما يزعم هذا القائل.

نعم الواقع أن هذه العلوم كانت سائرة في غير انتظام لكون الأمة كانت سائرة نحو النزول و التقهقر تدريجيا، فكانت الفوضى تسود العلوم و الفنون حتى الدور الأخير أما الانقطاع تماما بكيفية رسمية فهو خلاف الواقع.[9]

أنظمة الأطباء

و يختم مقدمته الشيقة بهذا النص الجميل الهادف: " كان للأطباء بالمغرب نظامات لا تقصر عن أنظمتهم في العصر الحاضر، لهم رئيس يرجع إليه في شؤون مهنتهم يؤيده ما جاء في ترجمة أي جعفر الذهبي أحد أطباء القرن السادس الهجري أن السلطان المنصور الموحدي أسند إليه رياسة الأطباء بعاصمة مراكش كما يؤيده ما جاء في القول المفيد للطبيب عبد الغني الزموري من أهل العاشر الهجري أنه لما أجفاه أطباء عصره قصد رئيسهم أبا القاسم الوزير الغساني فأنا له بغيته، كما أن الاختصاص كان معمولا به أيضا، إذ كان منهم المختص بالبلاط أو الجند يسير بسيره سفرا و حضرا، و المختص بالمستشفى، ومنهم العام و الخاص بالأشربة و المعاجين و تركيبها والمختص بالعيون أو الأسنان أو الجبر و رد الخلع (الفكوك) او التشريح أو بالولادة و القبالة و أمراض النساء و الخاص بالجراحة أو الفصادة ، فكل كان يعمل في دائرة اختصاصه، و يرجع إليه فيما هو مختص به، و كان منهم من يسجل مشاهدتهم كبني زهر فإنه يوجد في كتبهم تسجيل الوقائع و المشاهدات"[10]

و الجميل لدى الكانوني أنه لا ينسى مصادره ومراجعه التي اعتمدها.

الـــدور الأول

دور التكويــن و النشـــوء

وهو عصر الدولة الإدريسية و فيه تحدث عـن ورود المـولى إدريـس الأول على المغرب سنة 172 هـ حيث كون أول دولة عربية كان لها الأثر المحمـود فيما حققته من مشاريع و فيما بذلته من جهود لتوطيد الأمن و الأمان وإيصال الإسلام إلى ربوع كثيرة ونائية، و كانت عنايـة الأدارسـة "بتكـوين الحضـارة والمشاريع العمرانية و الحالة الأدبية متناسبة مـع مقـدرتهم ودولـتهم الضـيقة الرقعة"[11].

و توالى في هذه الدولة عدة أئمة مهتدين وفدت عليهم الوفـود مـن أصـقاع أخرى أثرت في الحياة بعامة و صبغتها بصبغة الدولـة و الإقلـيم و الإنسـان، واتخذوا الكتاب و الوزراء و القضاة و رؤساء الجند من الوافدين من القيروان و الأندلس و من أماكن أخرى.

و كانت عاصمة الدولة فاس إكليلا متوهجا و غرة بيضـاء في أيـامهم منـذ أنشأت " وأثبت التاريخ أنها كانت بالغة غايـة كـبرى في الحضـارة و الرقـي لاسيما في عهد الإمام يحي بن محمـد صـدر القـرن الثالـث الهجـري بحيـث وفدت عليها الوفود من الأندلس و القيروان وغيرهما الشـيء الـذي مـن أجلـه زخر عمرانها فبنيت بها الفنادق و المصانع و المعامـل التجاريـة و الصـناعية وبلغـت فـاس مـن العمـارة غايـة ضـاقت بسـكانها فاضـطروا لبنـاء الأربـاض بنواحيها.

وعاصمة كهذه من العبث أن تكون خالية من صناعة الطب الذي هو من خصائص الحضارة و لوازمها فلا شك أنه كان موجودا متناسبا مع ذلك الرقي[12] "والدولة إسلامية " وقد علم من أصول الإسلام وفروعه الحض على الفن، كما أنه يوجد في الفقه الإسلامي أمور عديدة تتوقف على الطب كالجراحات و التدمية و الميراث و عيوب الزوجين و الدواب و الطلاق و غير ذلك من الأمور التي تتوقف أحكامها على مقادير تلك الجروح و الأمراض ولا يكون عارفا بذلك إلا الطبيب"[13]

وكم أعجبني وسرني هذا الربط الذكي من فقيه متنور يعلي من قيمة الفقه الإسلامي و يبين رسالته في اهتمامه بكل شؤون الحياة .. ذلك الاهتمام الذي أهمل منذ أغلق باب الاجتهاد في وجوه المجتهدين و النبغاء.

وطبيعي فإن الدور الذي يجيء بعد هذا كان الطب فيه مزدهرا و ذا فاعلية، و هذا لا يتأتى بين عشية و ضحاها ما لم تكن هناك أرضية ممهدة ولذلك يقول الفقيه: "فإن قيل إذا كان الطب موجودا في هذه الحقبة فما هي أثاره؟ الجواب أن وسائل الاحتفاظ كانت غير متوفرة بسبب فتوح الفاتحين والثورات التي كانت تنشب أظفارها في المجموع المغربي من حين لأخر ضد السلطان فلم توجد على رأسه سلطة يستكين إليها"[14].

وهذا صحيح، خاصة و المغرب كان يكابد محنا من دول عظمى مجاورة و بعيدة تتآمر بطرق مختلفة و أساليب ملتوية.

الــدور الثانــي : دور الازدهـــار.

وحدده أبو عبد الله في ثلاثة قرون : الرابع والخامس والسادس

و تكلم فيه على ثلاث دول: الزناتيين و اللمتونيين و الموحدين جاعلا لكل منها فصلا مستقلا: 1- الزناتيون من سنة 368 إلى سنة 462 هـ

"منذ صدر القرن الرابع ضعفت دولة الأدارسة و فعلا قضى عليها موسى بن أبي العافية المكناسي عامل الفاطميين فانحازوا إلى الريف، و مكث المغاربة[14] للتنازع بين الدولتين، ثم لما ظهرت الدولة الزناتية التي كانت متشيعة للأمويين، و استكانت في غالب أيامها تحت نفوذهم، انقطع أمل الفاطميين من المغرب، فلما استقر نفوذ الامويين بالمغرب استفاد منهم المغرب فوائد جلى أدبية و مادية حيث تأثلت به الحضارة الراقية و التمدن السياسي"[15]

بهذه الفقرة الملخصة لعهد الزناتيين الذين -رغم التشابكات و الصراعات الداخلية والخارجية- استطاع المغرب أن يقطع في عهدهم أشواطا بعيدة في الحضارة والتمدن كما قال.

وكانت فاس وسبتة خاصة وأخوات لهما حاضرتين هامتين وقاعدتين من قواعد المغرب الهامة حتى إن بن عباد صاحب أشبيلية كان يقول : "اشتهيت أن يكون عندي من أهل سبتة ثلاثة نفر: ابن غازي الخطيب وابن عطاء المراكشي و ابن مرانة الفرضي".

و في المجال الطبي-رغم أن الفقيه لم يذكر أسماء بعينها- فقد كان الطب بلغ درجة الازدهار في الرقي، لأن الأندلس إذ ذاك جنة الدنيا وكعبة العرفان

و كانت تفيض على المغرب من حضارتها الخالدة و تمدنها الراقي، وعلى قلة المصادر التفصيلية، فإنه يعوزنا القول بأن الطب بلغ درجة سامية "[16]

وهل هناك رقي و تسامح و تسام أكثر من أن يسند الخليفة الأموي بالأندلس عبد الرحمن الثالث إلى طبيبه الخاص اليهودي (حسداي بن شبروط) الشؤون المالية للدولة؟ و من أن يتولى الوزارة اليهودي اسماعيل بن الغزالة (صمويل بن نجدلة) في ظل الأمير حبوس بغرناطة التي استولى عليها سنة 1024 م؟.

وينقل لنا الفقيه شهادة من كتاب (فن الاسنان لعالم غربي هو " جورج ألوا" الذي يقول : "كان طب الاسنان بلغ شأوا عظيما بالمغرب الاقصى في عهد المنصور بن أبي عامر أواخر القرن العاشر الميلادي و كان أطباء و طبيبات يداوون العيون و الاسنان بعقاقير ، وكانت لهم ءالات إزالة الاسنان و قطعها، و قد اتخذ المغاربة من اليونان استعمال البنج، فكانوا يستعلمونه لتخدير الاسنان (...) كانوا يقومون اعوجاج الأسنان بقطع من خشب أو معدن. و يمكن لنا القول بشكر عرب الأندلس و المغرب الأقصى بأنهم تفضلوا بنشر علمهم لنفع الإنسانية بدون تمييز بين الأجناس و الأديان"[17].

2- الطب في الدولة اللمتونية

قبل الانطلاق :

قبل أن نعيش مع أبي عبد الله الكانوني في فصله الممتع لابد أن نشير في عدة ملاحظات إلى ما نسميه تخصصا في إطار الموسوعية.

1- إن الأطباء تعددوا في هذا العصر الذي كان عصر التثبيت للدولة وتوحيد أقاليمها و تحرير الأندلس من الفوضى التي ارتكبها ملوك الطوائف، هذا الأندلس –بالأسف– الذي لم يكن ودا صادقا لا لمن حرروه و لا للشعب المغربي بعامة. و الفقيه الكانوني، وإن ذكر بعضهم فلم يذهب متقصيا راصدا حاصيا لأن هذا يتوقف على جهود كثيرة ومن أفراد و جمعيات و مؤسسات و ليس على فرد واحد.

2- إن هؤلاء الأطباء المذكورين في هذا الفصل و عددهم ثمانية عشر طبيبا معروفون بثقافتهم المتينة في العلوم الشرعية و علوم الآلة شأن بقية إخوانهم فيما سيجيء، ومع ذلك فمهاراتهم في العلوم الطبية و التداوي و التجارب لا تجاري حتى عدوا أطباء من العيار الثقيل.

3- هذه الموسوعية التي لعلمائنا سواء في المغرب أو المشرق هل لها من سبب أو أسباب، فكل علم تكلموا فيه، و كل فن ألفوا فيه، و ناظروا وشاركوا كأنهم تخصصوا في كل المعرفة .

فهل كانت موسوعيتهم ربحا للثقافة بكل مكوناتها ؟

وهل كانوا سيكونون أحسن لو اقتصروا على التخصص في علم واحد او مادة بعينها؟

وهذا يدفع إلى سؤال تال: هل التخصص وفق ما نعرفه الآن خير للثقافة أم شر؟ وهل شارك في لجم المعرفة و تكبيل الفكر أم في إطلاقهما؟ وهل هو قيد أم حرية ؟ قدرة أم عجز؟ ...

شخصيا أنا مع التخصص الواعي و لست مع الذي يقوقع صاحبه ويسجنه بصفة أو أخرى في مجال ضيق لا اتساع فيه إلا بمقدار.

أسباب وراء ازدهار الطب في العهد المرابطي.

كان الطب مزدهرا في هذا العهد ازدهارا يلفت إليه الأنظار لما امتاز به من دقة تقنية و مهارة عند متعاطيه، و لا شك أن هناك أسبابا كثيرة وراء ذلك نذكر بعضها في الأتي:

1- تعدد العواصم الأندلسية بتعدد ملوك الطوائف، فكان كل منهم يريد أن تكون عاصمته متألقة مشهورة، وبالفعل حصل ذلك من الناحية العلمية التمدنية، ورغم ان حالتهم السياسية و الاجتماعية "لم تزل تختل والنزاع بينهم يتمكن والعدو يشتط في مطالبه، و يتخطف البلاد من أطرافها ويفرض عليهم الضرائب الفادحة و الغرامات المتنوعة، ومن لم يؤد ذلك يأخذ منه حصون بلاده، فكان ملوك الطوائف يرهقون الشعب باستنزاف ماليته لتسديد تلك الضرائب زيادة على ما يلزم هؤلاء الملوك في نفقاتهم الباهظة في حق أنفسهم وعلى جيوش الأدباء والشعراء و المغنيين الذين كانوا في ذلك العصر ألة لنشر الدعاية، فكان الشاعر او المغني يأخذ دفعة واحدة مقدار راتب شهري لجيش مربى فإن الحضارة التي رضعت مما خلفه العهد الأموي هناك بلغت أوجها، و انعكست على البلاد بعد ذاك بعدما تل يوسف بن تاشفين تلك العروش لعلمه كما يقول الكانوني (إن تلك سنة الله في هذا

الكون، و أنه لا تسدى مصلحة لشعب من الشعوب إلا بإغضاب رؤسائه الذين يكونون حجر عثرة في طريق الإصلاح"[19]

2- الدولة المرابطة كانت وليدة في ريعان فتوتها، و مسيروها مؤمنون صادقون ذو عزائم متسلحة بالجدية التي عند أهل الجنوب عامة، إضافة إلى مساعدين غيورين نافذين في أعمالهم، منفذين للأوامر في إخلاص و تجرد وابتعاد تام عن الرخاوة و التحضر المفضي إلى الميوعة.

3- العطاء الذي غمرت به الدولة الفقهاء و بالأخص الأطباء فوصل بعضهم إلى الذروة في الحكم و تسيير الدولة بجدارة و استحقاق، وكان لهذا العطاء أثره في جعل العاصمة مراكش تضيق بالوافدين من أهل العلم والرزانة، و التفكير و الزكانة- و طارت للدولة سمعة عالمية جعلت الكثيرين يقصدونها و يستمتعون بنفائحها و نفحاتها، خاصة بعد غزوة الزلاقة.

4- التنافس بين العواصم العربية شرقا و غربا، ومحاولة كل واحدة أن تكون لها الريادة، وكانت مراكش ندا قويا لعاصمة العباسيين الكبرى، بل إن نجم مراكش حينما بدأ في التألق بدأ نجم أختها في الأفول، و عاصمة تهفو لها نفوس الفقيهين أبي حامد الغزالي و أبي بكر الطرطوشي و الطيب أبي العلاء زهر بن ابي مروان الاشبيلي لهي عاصمة كبيرة و ناجحة بكل مقياس.

5- الأفكار الجديدة و المهارة المكتسبة عند الأطباء الأندلسيين الذين أوصلوها إلى إخوانهم بمراكش و فاس و غيرهما فتم التلاقح، و تألفت العناصر في وحدة شاملة موفقة عزيزة المنال.

أطبـــاء هـــذا العصـــر

"وكـان الطـب في مقدمـة تلـك الفنـون الـتي نفـق في حضـرتهم سـوقها، وعمرت رباعها حيث صادفت من رجال الدولة تنشيطا غريبـا بـإدرار الارزاق على أهلها ورفع مكـانتهم إلى أعلـى مراتـب السـمو وأسمـى مراتـب الرفعـة، الشيء الذي من أجله ازدهرت المدرسة الطبية بالمغرب، وظهر على مسـرحها جهابذة الطب وأساطين الحكمة الذين بثوا هذا الفن في أبناء المغرب وغيرهم، فنتج عن ذلك وجود رجال من أبناء المغـرب خـدموا الطـب أ جـل الخـدمات وخلدوا في الطب العربي الآثار الجليلة".[20]

هذه المقدمة الموجزة الموحية جعلها الكانوني براعة استهلال قبل الشروع في بسط التراجم.

ولائحة تراجم الأطباء في هذا العصر كما ذكرها تضم ثمانيـة عشـر طبيبـا كلهم ذكور، مما يدعو للتساؤل ألم تكن هناك طبيبات ساعتها، مع أن نسـاء أديبات و شاعرات كن ضمن الطوق الثقافي حتى من داخل البيت الحاكم.

أيا كان، هذا هو العدد الذي ترجم له الفقيه منهم: أبو العـلاء زهـر بـن مروان الاشبيلي و أبو بكر محمد بن يحي بن الصـائغ المعـروف بـابن باجـة، والحكيم المعروف بالفأر الإشبيلي، و يوسـف بـن يحـي بـن إسـحاق السـبتي وموسى ابن ميمون القرطبي و سـليمان بـن عبـد الرحمـان العبـدري و غيرهـم تركناهم للإختصار.

نماذج طبية

و نـذكر الآن بعـض النمـاذج مقتصـرين بالدرجـة الاولى علـى مـا يتعلـق بمهنهم الطبية على اعتبار أنهم كلهم في المستوى الكبير.

أبو مروان عبد المالك بن أبي العلاء بن زهر

هذا الفقيه الماهر أطـال الفقيـه الكـانوني في ترجمتـه حتـى فاقـت عشـر صفحات متحدثا عن مهارته و كتبه و تلامذته و علاقاته مع الدولة المرابطيـة و الموحدية، و نقتطف منها.

"مولده بأشبيلية تقريبا بين سـنة 484 و 487هـ، اشـتغل أولا بدراسـة الأدب والفقه والحديث ثم مال إلى الطب فدرسه بمدرسة والده حتى بلغ فيـه في زمن يسير غاية قصوى و منزلة عليا بين أقرانه في استقصاء الأدوية المركبـة و المفردة و حسن المعالجة حتى لم يكن في عصره من يماثله، و كـان الحكـيم بن رشد يعظمه و يعتبره أعظم طبيب منذ عهد جالينوس ص 48.

نظرياته : (...) وأبلى أبو مروان بـن زهـر بـلاء حسـنا في تجديـد فـن المـداواة و نشـر التـدبير البسـيط في معالجـة الأمـراض بـدل التـدبير المشـوش بالمفردات الكثيرة و التراكيب المتعـددة،و أصيب بـن زهـر بخراجـة في حيـز المثلث الصدري ووصف هذا المرض في كتابـه، وهـي أول شـهادة عثـر عليهـا الطب في ذلك. قلل الأستاذ بوشت في تاريخ الطب ص 355 " اشتغل بن زهر طويلا بجهاز الهضمي حتى تمكن من معالجة الكسر و الخلع معالجـة دقيقـة وقد أجرى مرارا فتح الميت مما ساعده على وصف التشريح المرضي في خراجة

حيز مثلث الصدر ذات غلاف القلب و استسقاء غلاف القلب و الالتصاقات الليفية و القلبية التي يسميها الزوائد القلبية و عني بعسر البلع وأوصى باستعمال الحقن المغذية في المستقيم.

وقال "فرند" يوجد لابن زهر ملاحظات في حسن العظم و الاسنان مما هو مختلف فيه حتى اليوم، و له شهادات في السل الناتج عن القرحة المعدية وفي الاختناق الحاصل من فلج المريء، و أخيرا في المحجاج أي المثقب المنشاري والحصى البولية و غيرها ص 52/51.

آثاره : لحكيمنا هذا في الطب آثار خالدة و تصانيف مفيدة .

1- كتاب في الاقتصاد في إصلاح الأجساد: ألفه برغبة من تلميذه الأمير ابراهيم ابن يوسف اللمتوني، و كان فراغه منذ سنة 515 هـ، توجد منه نسخة بخط مشرقي بباريز و أخرى بالعبرانية بالمكتبة العربية بالأسكوريال .

2- كتاب التيسير في المداواة والتدبير رتب فيه الأدواء على أعضاء الانسان .

3- كتاب الأغذية كتبه للخليفة عبد المومن بن علي وهو "مغتبط به بالمشرق و المغرب" ص 53

4- كتاب الزينة، كتبه لولده أبي بكر في أمر الدواء المسهل و كيفية أخذه.

5- كتاب الترياق السبعيني، كتبه لعبد المومن بن علي ثم اختصره عشاريا ثم سباعيا و يعرف بترياق الأنتلة.

تلامذته : منهم أبو بكر الحفيد و ابنته أم عمرو، و أبو الحسن المصدوم، و أبو بكر بن قاضي اشبيلية أبي الحسن و الأمير ابراهيم بن يوسف اللمتوني و أبو محمد النشدوني، وأبو عمران بن أبي عمران الزاهد.

محنة أبي مروان: لا نطيل بهذه المحنة لأنها مشهورة و منشورة ولأنها واقعة في دائرة الصراع بين الدولتين اللمتونية و الموحدية و كانت كل منهما ترى فيه طبيبها الخاص و أي خطأ ولو صغير يحسب ضده و تكال له التهم الخطيرة . و توفي بداء النغلة (الدبيلة) سنة 557 هـ-1161م.

2-**الحكيم المعروف بالفأر الاشبيلي**

كان حكيما فاضلا ذا معرفة كبرى بخواص الأغذية و طبائعها معاصر لأبي مروان بن زهر، فكان أبو مروان يأكل التين و يميل إليه، و كان حكيمنا هذا على الضد من ذلك لا يتغذى منه بشيء، و إن أخذ شيئا فيكون واحدة في السنة فكان يقول لأبي مروان إنه لابد أن تعرض نغلة (دبيلة) صعبة بمداومته أكل التين، و كان أبو مروان يقول له: إنه نظرا لكثرة حميته حيث لم تأكل التين لا بد أن يصيبك الشناج فلم يمت أبو مروان إلا بعلة النغلة ولم يمت حكيمنا إلا بعلة التشنج.

و هذا من أبلغ الإنذار و أدل دليل على معرفة الرجلين بطبائع الأغذية، وكونهما لم يمتنعا عما فيه ضررهما لا يدل على عدم معرفتهما لأن القدر إذا سبق بشيء ينصرف إليه العاقل توا و لو كان يعلم فيه ضرره إن الله إذا أراد تنفيذ حكم من أحكامه في عبيده سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ حكمهم فيه

21، و ما أحسن قول أبي مروان لابنه: يا بني إذا أراد الله تغيير هذه البنية فإنه لا يقدر لي أن استعمل من الأدوية إلا ما تتم به مشيئة الله.

وهذه حكمة بالغة تدل على عقل بليغ التفكير واسع المعرفة بالله رحمهم الله تعالى.

آثاره : له كتاب جيد في الأدوية.

الطب في الدولة الموحدية.

الموحدون و التمدن: تعتبر الإمبراطورية الموحدية من أكبر الإمبراطوريات التي حكمت المسلمين في الغرب الاسلامي بما توافر لها من قوة مادية ومعنوية وبما أسدته للمجال الحياتي للإنسان، رغم أن سنواتها الأولى اتجهت فيها البوصلة نحو البطش و القوة التي كانت المبالغة في استعمالها ظاهرة و متحكمة خاصة ضد القبائل الثائرة.. لكن ما أن تمكن عبد المومن من ناصية الأمور حتى بدأت طلائع التغيير تظهر، وحتى تلونت الدولة بألوان لها قيمتها أكسبت الدولة ذكرا جميلا.

كانت الدولة دولة علم و توسع

وكانت دولة علم و فن.

وكانت دولة تشييد و عمران.

ولقد وجد فيها الأدباء والفقهاء و الأطباء و الفلاسفة و الفنانون مبتغاهم، فأظهر كل منهم نبوغه و شحذ طموحه فحقق ما إليه يهفو تحت سلطة دولة قوية واعية.

و ماذا عن الطب في العصر الموحدي ؟

لو انطلقنا من هذه الفقرة التي كتبها الفقيه الكانوني عن ثاني خليفة في الدولة وهو أبو يعقوب يوسف الفيلسوف الطبيب استرحنا من كل سؤال، يقول أبو عبد الله: "ولم تكن همته لتقف عند حد التفوق في اللغة العربية والأخذ بحظ وافر من علوم الشريعة، بل تجاوزت ذلك إلى علوم الكسوف والرياضة و الطب، فابتدأ أولا بعلم الطب فاستظهر فيه أكثر الصناعتين المعروف بالملكي للحكيم الطبيب علي بن عباس المجوسي، فأجاده علما كما يظهر، ثم خطا خطوات واسعة نحو علوم الفلسفة فانكب عليها بكل شغف ونهم حتى بلغ فيها غاية لم تكن لأحد من أهل عصره، فكان يجمع العلماء والحكماء والمتكلمين والأطباء و الفلكيين من أقاصي البلاد وخصوصا علم النظر فكان يسبغ عليهم الأنعام و يغمرهم بسيل وارف من عطاياه الوافرة و جراياته الواسعة التي من أجلها استغنى مطلق الناس في دولته فكيف بأهل العلم الذين كان يحبهم بما لا يدع له سبيلا لمفارقتهم إلا في أوقات الضرورة "[22].

وهذه سياسة ألزمت بها الدولة نفسها خاصة في أيام الخلفاء الأولين وهو العهد الزاهر الذي بلغت فيه شأوا بعيدا في الرقي الطبي و ازدهاره كشأن المعالم الثقافية و الحضارية الأخرى، فيعقوب المنصور يحليه سيديو بقوله : "أنشأ في جميع مملكته مارستانات للمرضى و تكايا للفقراء و الجرحى في الحرب و حفر آبارا في الصحاري وخانات في الطرق للمسافرين" وهو ما لم تستطع الحضارة الآن تحقيقه رغم الادعاء والتفاخر، وما بناه المنصور هو

كثير وهو ما نطلق عليه اليوم المرافق الصحية و الاجتماعية و نشير لبعض ما أقامه بمراكش ليس إلا.

مستشفى مراكش / دار الفرج

يقول الكانوني عن هذا المارستان العظيم: أسس الخليفة يعقوب المنصور أواخر القرن السادس الهجري بالقصبة من عاصمة مراكش مستشفى من عجائب الدنيا رقيا و فخامة و نظاما، حدثنا صاحب الاستبصار[23] في عجائب الأمصار قائلا: "إنه سمي دار الفرج و موقعه شرقي المسجد الجامع (جامع المنصور) بالقصبة وهو مارستان المرضى يدخله العليل فيعاين ما أعد فيه من المنازل و المياه والرياحين و الأطعمة الشهية و الاشربة المفوهة يستطلعها ويسيغها فتنعشه من حينه بقدرة الله.

ويقول الشيخ عبد الواحد في المعجب (ص 162 طبع مصر) أن يعقوب المنصور بني بمراكش بيمارستان ما أظن في الدنيا مثله وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع بالبلاد وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه فأتقنوا فيه من النقوش البديعة و الزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار المشمومات و المأكولات، وأجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك في وسطه إحداهما رخام أبيض، ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف و الكتان والحرير و الأديم و غيره بما يزيد على الوصف و يأتي فوق النعت و أجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم برسم الطعام و ما ينفق عليه خاصة خارجا عما

جلب إليه من الأدوية و أقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة و الأذهان والأعمال، و أعد فيه للمريض ثياب ليل و نهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء، فإذا برئ المريض فإن كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يتعيش به ريثما يستقل و إن كان غنيا دفع إليه ماله و تركته و سببه.

ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء، بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت [24]، و كان في كل جمعة بعد صلاته يركب و يدخله يعود المرض و يسأل عن أهل كل بيت بقوله كيف حالكم و كيف القومة عليكم إلى غير ذلك من السؤال ثم يخرج و لم يزل مستمرا على ذلك إلى أن مات رحمه الله سنة 595 هـ[25].

حارة الجذمى بمراكش

"كان الجذمى بمراكش و غيرها لهم حارات خاصة بعيدة عن الأصحاء يأوون إليها.

و كانت هذه الحارة أواخر القرن السادس من خارج باب أغمات شرقي المدينة بنظر صحي لتحمل الريح الغربية أبخرتهم و روائحهم إلى غير جهة المدينة، ثم نقلوا بعد ذلك غربي المدينة خارج باب دكالة –و لعله لجودة هواء هذه الناحية– وقد كانت تنالهم إسعافات مادية وأدبية تغنيهم عن الاختلاط بالناس، و كان مهما ظهر هذا الداء على إنسان ينقل إلى حارة الجذمى أحب أم كره فلا يترك له المجال في المكث بين الأصحاء كيفما كانت منزلته، لكن ذهبت تلك الجرايات والإسعافات مع توالي الفتن

وتناقص العمران وإن كان نظام النقلة و الحيطة لم يزل جاريا حتى فاتح هذا القرن الرابع عشر، و هي الآن قرية آهلة بالسكان لها مكاتب قرءانية ومسجد جمعة، و كان بها مدرسون أيضا و مقيمون لرسوم الدين و الدنيا بحسب الظروف و الأحوال". [26]

أطباء هذا العصر

الطبابة في العصر الموحدي كانت منتشرة بل نافقة

والأطباء كانوا كثرة و مختلفي المدارك والتخصصات والمهارات

ونظرا لهذه الوفرة في العدد و في المجالات التي اقتحموها كان لا بد أن يقع ما يقع بين أصحاب المهنة من احتكاك و تنافر و تحاسد أو حتى تآمر.. ومع ذلك فكل ميسر لما خلق له. فعدد منهم رحل للمشرق من أجل زيادة ثقافته باتصاله بنظرائه المشارقة في مصر و بغداد ودمشق و مكة و غيرها، فاكتسب علما و خبرة و سمعة و مهابة فطاب له المقام هناك و رجع لوطنه. و بعضهم تولى الوزارة و القرابة من السلطان فنجح في كلتيهما.

وبعضهم إلى جانب الطبابة تولى القضاء و ما في معناه فشرف الوظيفة.

وبعضهم درس في المستشفيات و في الدور و المساجد فتكون على يديه أطباء مهرة .

و بعضهم رأس المؤسسات الجامعية فمهر فيها و بهر.

وبعضهم اكتفى بحانوت وسط المواطنين و عالج الناس رافضا رفدهم قياما بالواجب خدمة للصالح العام و تقربا إلى الله.

و لكـنهم كـانوا أطبـاء موهـوبين و مشـهودا لهـم بالحذاقـة و الحصـافة والتعامـل النظيـف. و تجـب ملاحظـة ان الطبيبـات بيـنهم قلـة قليلـة إذ لم يتجاوز العدد الذي ذكره الفقيه أبو عبد الله طبيبتين: أمـا و ابنتهـا، وكانتـا طبيبتين بالقصر الخليفي بمراكش.... يتبع

الهوامـــــش

1-الفقيه محمد بن أحمد العبدي الكانوني حياته وفكره ومؤلفاته محمد السعيدي الرجراجي ط 1 ص 187.

2-من المقدمة بالنسخة المخطوطة

3-لعبت هذه المجلة دورا مهما في الحياة الثقافية يومئذ برءاسة الاستاذ ميسة ومشاركة العديد من الكتاب الناضجين، ومن هؤلاء الاديب محمد بن العباس القباج الرباطي الذي كان يمتاز بقلم حاد ونقد مر سلطه على كثير من الادباء منهم شاعر الحمراء وشاعر الشباب.

4-5-من كلمة للمؤلف

6-لمحات من تاريخ العالم-جواهر لال نهرو ط 2 ص: 35 بيروت..و الكتاب عبارة عن رسائل كتبها نيهرو لابنته أنديرا حينما كان يتنقل بين السجون البريطانية بين سنة 1933/1931.

7-من المقدمة الأولى ص: 12/11

8-توفي سنة 1316 هـ في شهر ذي الحجة و كانت له مؤلفات أخرى تقارب العشرة، وواجة لدى السلطان المولى الحسن الأول الذي تتلمذ على الفقيه وكذا أولاده

9-ص: 17

10-نفسه ص 19/18

11-13-ص 21-23

14-يظهر أن الفقيه نسي كلمة ففضلنا كتابة الجملة هكذا: وبقي المغاربة متفرقين

15-17-ص: 27/28

18-19-نفسه ص: 30/32

20-نفسه ص 33

21-الصواب حتى ينفذ حكمه فيهم

22-ص 67

23-جاء في ص 69 من النسخة المخطوطة هذا الهامش للفقيه الكانوني: "هذا الكتاب على أهميته مجهول المؤلف لكن يظهر من الكتاب أنه كان من جغرافيي الدولة الموحدية متعصبا لها بحيث يلعن أضدادها من اللمتونيين كان حيا سنة 587، ابتدأ كتابه بذكر المدن الساحلية أو القروية منها على مرحلتين فابتدأت من المغرب الادنى إلى سلا بالمغرب الأقصى و بذلك تم له الفصل الاول من الكتاب و الفصل الثاني ذكر فيه المدن الصحراوية مبتدئا بما يقرب من الاسكندرية إلى فاس و قصر كتامة من بلاد الهبط، وذكر جبل فزازا و قال، رأيت به القردة تثب من شجرة إلى أخرى ووصف ما فيه من الخشب و النباتات الطبية، توجد منه نسخة سقيمة الخط بالمكتبة العليا بالرباط تحت عدد 87

24-في ص: 70، ورد الهامش التالي للفقيه: "بمناسبة الغرباء نذكر أن جمهورية جنيف في قرننا هذا تتقاضى من الغرباء ضريبة باسم المستشفى الخيري- و لكنها جعلت العلاج فيه قاصرا على أهل البلاد دون الغرباء- من فلاسفة الاسلام129.

25-26-ص: 70/72